واعتراضه في حسنه ومائة وهذا الفصل أيضا مما يحتاج فيه إلى تفصيل وشرح ونص ليتحقق ما ادعيناه منه .

ولولا هذه الوجوه التي بيناها لم يتحير فيه أهل الفصاحة ولكانوا يفزعون إلى التعمل للمقابلة والتصنع للمعارضة وكانوا ينظرون في أمرهم ويراجعون أنفسهم أو كان يراجع بعضهم بعضا في معارضته ويتوقفون لها .

فلما لم نرهم اشتغلوا بذلك علم أن أهل المعرفة منهم بالصنعة إنما عدلوا عن هذه الأمور لعلمهم بعجزهم عنه وقصور فصاحتهم دونه .

ولا يمتنع أن يلتبس على من لم يكن بارعا فيهم ولا متقدما في الفصاحة منهم هذا الحال حتى لا يعلم إلا بعد نظر وتأمل وحتى يعرف حال عجز غيره إلا أنا رأينا صناديدهم وأعيانهم ووجوههم سلموا ولم يشتغلوا بذلك تحققا بظهور العجز وتبينا له وأما قوله تعالى حكاية عنهم لو نشاء لقلنا مثل هذا فقد يمكن أن يكونوا كاذبين فيما أخبروا به عن أنفسهم وقد يمكن أن يكون قاله منهم أهل الضعف في هذه الصناعة دون المتقدمين فيها وقد يمكن أن يكون هذا الكلام إنما خرج منهم وهو يدل على عجزهم ولذلك أورده ا مورد تقريعهم لأنه لو كانوا على ما وصفوا به أنفسهم لكانوا يتجاوزون الوعد إلى الإنجاز والضمان إلى الوفاء فلما لم يفعلوا ذلك مع استمرار التحدي وتطاول زمان الفسحة في إقامة الحجة عليهم بعجزهم عنه علم عجزهم إذ لو كانوا قادرين على ذلك لم يقتصروا على الدعوى فقط .

ومعلوم من حالهم وحميتهم أن الواحد منهم يقول في الحشرات والهوام والحيات وفي وصف الأزمة والأنساع والأمور التي لا يؤبه لها ولا يحتاج إليها ويتنافسون في ذلك أشد التنافس ويتبجحون به أشد التبجح فكيف يجوز أن تمكنهم معارضته في هذه المعاني الفسيحة والعبارات الفصيحة مع تضمن المعارضة لتكذيبه والذب عن أديانهم القديمة وإخراجهم أنفسهم من تسفيهه رأيهم وتضليله إياهم والتخلص من منازعته ثم من محاربته ومقارعته